ثانياً - الثبات والتغير :

1- الثابت :

ينبغي التمييز بين الثابت بمعنى constance والثابت بمعنى Invarlant اللامتغير : أ- الثابت بالمعنى الاول :

- في الرياضيات : ما يحتفظ دوما بنفس القيمة ، أو هو كمية متعلقة بأحدى الدوال ومستقلة عن التغيرات التي تلحقها .
- في الفيزياء : عدد معلوم يتعلق بظاهرة معينة ، فدرجة ذوبان جسم ما يعبر عنه بعدد ثابت ، وكذلك وزنه ... الخ . وهنالك عدد من الثوابت تنسب الى مخترعيها مثل " ثابت نيوتن " نسبة الى العالم الفيزيائي إسحاق نيوتن ، وهو عدد معلوم يدخل في قانون الجاذبية ، و " ثابت بلانك " نسبة الى عالم الفيزياء الذرية ماكس بلانك ، وهو كذلك عدد معلوم يدخل في المعادلات الخاصة بضبط سلوك الجسيمات الذرية .
- في الفلسفة : فقد يستعمل بمعنى الافكار والظواهر التي تظل هي هي عبر الزمان ، وبهذا المعنى يمكن الحديث عن " ثوابت الفكر العربي " او " ثوابت الواقع الحظاري العربي " ولكن دون ان يكون ذلك بالضرورة في اطار منظور بنيوي .

ب- الثابت بمعنى اللامتغير (المعنى الثاني) :

هو اعم من الاول واوسع استعمالا ، أنه مقدار أو خاصية أو علاقة تبقى هي اياها خلال بعض التحولات ، وبناء على هذا التعريف يمكن تصنيف اللامتغيرات الى ثلاثة اصناف :

1- لا متغيرات كمية : فالعدد في التصور الفيثاغوري كيان قائم الذات ذو قوة خاصة به لا يتغير بتغير الظروف . والجسم الذري في الفيزياء الحديثة يعرف بالعدد او الاعداد التي تعينه وتضبطه لا بالخصائص والكيفيات كما هو الشأن بالنسبة للأجسام التي نتعامل معها على المستوى البشري ، فهوية الجسيم الذرية عددية .

2- لا متغيرات كيفية : علائقية أو دالية نسبة الى الدالة ، وهي التي تدخل في المعادلات والدوال الجبرية بوصفها علاقات تتكرر بأستمرار ضمن ظروف معلومة ، ومعظم القوانين الفيزيائية هي من هذا النوع من اللامتغيرات .

ج- يكتسب مفهوم اللامتغير او الثبات أهمية خاصة في الفكر المعاصر ، وربما كان هذا راجعا الى ذيوع النظرة البنيوية الى الاشياء بين المفكرين ، اي النظرة التي تتعامل مع الاشياء والحوادث والظواهر لا بوصفها " كائنات " او " ماهيات " مستقلة ، بل بوصفها علاقات تخضع لقوانين ، أي بنيات . وأذا عرّفنا البنية بأنها " مجموعة من العلاقات المستقلة عن العناصر التي تجري فيها وتتميز بكونها لا متغيرة خلال التحولات التي يمكن اجراؤها على تلك العناصر " أو بأنها " منظومة من العلاقات اللامتغيرة في اطار بعض التحولات " ، ادركنا أهمية مفهوم اللامتغير في تعريف البنية وبالتالي في جميع التصورات والتحليلات التي تعتمد النظرة البنيوية . ان الكون بأسره عبارة عن اشياء تربط بينها شبكة من العلاقات ، ولا يكفي ان تكون هناك مجموعة من العلاقات تربط بين أشياء

لنقول ان هنالك بنية ، بل لا بد ان تكون هذه العلاقات تتكرر خلال بعض التحولات حتى يمكن دراستها بوصفها بنية ، فمفهوم اللامتغير أذن لا يعني " الثبات " بمعنى السكون وعدم الحركة ، بل بالعكس يعني ان العلاقات المعنية علاقات تتكرر بالشكل نفسه في اطار جملة من التحولات .

وكمثال للتوضيح نأخذ اي جملة لغوية ولتكن الجملة التالية : " حدث زلزال في مدينة اسطنبول ، أودي بحياة ما يزيد عن ثمانية وعشرين الف شخص " ، نحن هنا امام جملة من العناصر هي الكلمات " أفعال ، أسماء " تقوم بينها علاقات تضبطها قوانين خاصة هي بالجملة ما عبر عنه عبد القاهر الجرجاني " بمعاني النحو " من " فاعل ، مفعول به ، مضاف ومضاف اليه .... الخ " هذه العلاقات تبقى ثابته " لا متغيرة " سواء ترجمنا هذه الجملة الى الانكليزية ومنها الى الفرنسية ومنها الى التركية ...الخ ان معاني النحو تبقى هي اياها ، ونستطيع العودة بتلك المعاني الى العربية من أي لغة من اللغات المذكورة فتحصل على العلاقات نفسها التي تربط بين عناصر الجملة العربية التي انطلقنا منها ، وواضح ان ما بقي ثابتا هو معنى الجملة أما التحولات فهي الترجمات .

وهكذا فمفهوم اللامتغير في المفهوم البنيوي لا يقال الا على ما يبقى هو اياه في أطار بعض التحولات ، فأذا لم تكن هناك تحولات من النوع الذي ذكرناه ةذا لم نكن نهتم بهذه التحولات نفسها ، فلا معنى لاستعمال مصطلح اللامتغير .